«كتابات».. كانت متنفس لنشر الأدب البحرين الحديث .. علي خليفة:

تحايلنا على الوضع وأصدرنا مجلة «كتابات» على أنها كتاب في أربعة أجزاء

رؤى ـ علي الثميش:

تحدث الصحافي بول نيزان ذات مرة عن «إن المثقف الحقيقي هو الذي يحترف الثقافة لكنه من الضروري أن يتمتع أيضا بالشجاعة الأدبية الكافية ليعلن دون مواربة عن نتائج تفكيره».

حديث دون شك، كان يؤشر صورة لوضع ثقافي من نوع خاص، لمثقف من نوع خاص أيضاً، هذه الصورة يمكن تحسسها من خلال سيرة ثقافية كانا قد أودعاها رأساً، كان يمكث بخوف وبفرح على أكتافهم المتعبة والياسة إلا من أمل كان يدفعهما نحو المضي فقط، فقليل من الأمل كان يكفي لأن يُعلنا لحظة وجودهما عبر مجلة «كتابات» التي صدر عددها الأول في عام 1976 وكان وراء هذا الصدور مبدعان وقصة واحدة. عرفتُ سيرتهم هذه خلال تكريم قد أقامته مجلة العربي الكويتية خلال ندوتها «المجلات الثقافية ودورها في الإصلاح الثقافي» والتي أنهت فعالياتها الاثنين الماضي، وكانت تحت رعاية رئيس مجلس الوزراء الكويتي الشيخ ناصر محمد الأحمد الصباح.

قصة هذه المجلة «كتابات» نُسجت في تفاصيل حياتهما، اثنين كانا، وكانا معاً في العيش و الهرب نحو مجهول القدر والمكان، مأجونين بشغف الثقافة، ومحمومين بهاجس الذهاب نحو تلك المعرفة، تلك التي لا تعرف المستحيل في عالم تخونه كل أبجديات اللغة الموجولة بلعنة السياسة الماكرة.

كان علي عبدالله خليفة مأخوذاً بغواية الشعر والأدب والثقافة وكان عبدالقادر عقيل مأخوذاً بكتابة القصة والترجمة، جمعهما القدر الثقافي وفطنا معاً في ظل كل الظروف السعيدية المتعبة والفارغة الا من قسوة تمتين كل ما من شأنه أن يحيل إلى الثقافة أو ما به مس من المعرفة، إلى أهمية الجانب المؤسساتي في الثقافة فكانت «دار الغد» لأن الثقافة وكما يقول بيير بورديو هي أساسا مؤسسات تنشر الأفكار في المجتمع وتعيد إنتاجه وتواصل علاقات السيطرة بين أطرافه بإعادة إنتاج ما يمكن الاصطلاح عليه بالمثقف المناضل والثقافة المقاومة للجهل أولا وللسلطة على اختلاف أشكالها في المجتمع.

علي خليفة يتسلم درع التكريم من رئيس مجلس الوزراء الكويتي الشيخ ناصر محمد الأحمد الصباح

في أوائل سبعينات القرن الماضي، كما يتحدث الشاعر علي عبدالله خليفة كانت الحركة الأدبية الجديدة في البحرين تعيش زمناً صعباً، فلقد تأسست أسرة الأدباء والكتاب عام 1969 في مخاض غير عادي، حيث كان الاستعمار البريطاني يحزم أمتعته عن شرق السويس تاركاً تأثيراته وحرسه القديم يكمل بقية الدور، محاولاً فرض طوق من العتمة على بلد صغير مثل البحرين تتعالى فيه أصوات المثقفين ويمتزج فيه صوت الشارع بالمعطيات الفكرية والأدبية والفنية المعبرة عن خلجات رفضه للواقع ونزوعه إلى الحرية.

وكانت بعض جهات السلطة الوطنية في البحرين تحاول تجاوز واقعها بشتى الصور، فعلى غير المعتاد أصدر سمو الأمير الراحل الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة طيب الله ثراه أوامره بمنح ترخيص لإنشاء أسرة الأدباء والكتاب بعد تكرار رفض الترخيص لها من الجهات التنفيذية المختصة. فكانت هي المؤسسة الأهلية الوحيدة في البحرين التي يصدر الحاكم قراراً بانشائها تظير تطمينات وتعهدات من قبل شخصية أدبية وفكرية.

وعلى مدى سبع سنوات، والحديث هنا للشاعر علي عبدالله خليفة حاولت الأسرة إصدار مجلة أدبية كمنبر فكري لنتاج أعضائها دون جدوى، في وقت ازداد فيه نشاط التنظيمات السياسية السرية التي حاولت بشتى الطرق السيطرة على الأسرة أو تسييس وتنظيم أعضائها والمراهنة على أسماء كتابها البارزين.

وفي غمرة صراع التنظيمات السياسية مع السلطة ومع بعضها البعض، استشرت في البحرين خلال تلك الفترة موجة من التنافسات السياسية والتجزيات والانقسامات الفكرية والتشرذم الشلي بين الأدباء والكتاب. وقد تأزم الوضع السياسي العام مع إجهاض التجربة الديمقراطية الوليدة في البحرين عام 1975 وفرض حالة الطوارئ بإصدار قانون أمن الدولة الذي أتاح للسلطة اعتقال كل من تشك في منافسته لها، وما أعقب ذلك من حدوث حالة اغتيال سياسي لرئيس تحرير مجلة «الموقف» عبدالله المدني عام 1976 وتنفيذ حكم الإعدام بالمتهمين..

في هذا الجو العام المتوتر، والحديث هنا للشاعر علي عبدالله خليفة، كان لابد من مخرج لمتنفس نشر محلي للأدب البحريني الحديث، الذي كان على أبواب مرحلة جديدة يطرق فيها أبواب الحداثة الفنية في الشعر والقصة القصيرة والرواية، وذلك لتجاوز مساحة ما تتيحه الصحافة البحرينية اليومية والأسبوعية المحدودة ذلك الوقت. كان اثنين فقط من خارج التنظيمات والتجزيات السياسية، الكاتب الروائي عبدالقادر عقيل وأنا، لنا رؤانا الفكرية والفنية التي نلتقي في بعضها ونختلف في بعضها الآخر، بجمعنا التأكيد على قيمة الإبداع وهاجس فعل الممكن في الزمن الصعب. ولقد عز علينا ما يتناهب الساحة من انقسامات، فاستعرضنا بعض المخارج ورأينا بأنه إذا كان من غير الممكن إصدار مجلة أدبية باسم أسرة الأدباء فهل يمكن إصدارها عن جهة أخرى، ولنفترض دار نشر محلية لها سجل تجاري وتمارس نشاطاً في السوق؟ فقمنا بتأسيس «دار الغد للنشر والتوزيع» عام 1974 لتسهم في حل مشكلة نشر كتب الزملاء ومن جانب آخر محاولة إصدار المجلة. فاصدرنا مجموعات شعرية وقصصية، وحاولنا الحصول على ترخيص لإصدار مجلة أدبية ولم نفلح، إذ وجدنا الطوق محكماً وليست هناك أية بارقة أمل في ذلك. فخطر لنا في نوفمبر 1975 بأن نحتال على الوضع، بأن نطلب ترخيصاً لإصدار كتاب دفعة الكتب لكن في أربعة أجزاء ويحمل شكل وإخراج ومواد مجلة أدبية لكن اسمه كتاب وليس مجلة، واتفقنا على أن نطلق عليه اسماً يعبر عن مضمونه وسنة إصداره «كتابات 76»، ثم في العام التالي نبقي فقط على الاسم مجردا دون اقترانه بالعام «كتابات». وبالفعل نجحنا في تمرير الفكرة، وحصلنا على ترخيص بإصدار الكتاب / المجلة، لكن بشرط أن

علي خليفة . قاسم حداد . ابراهيم بوهندي

الشيخ عيسى بن راشد . احمد محمد آل خليفة . علي خليفة . قاسم الحداد . يوسف حسن

يخضع كل جزء إلى إجراءات رقيب سيطول.. ويطول.

■ إن محاولتنا هذه في مجملها ضمناً تأكيد على ضرورة الإلحاح بطلب ترخيص رسمي لإصدار مجلة أدبية متخصصة لأسرة الأدباء والكتاب في البحرين.

■... نؤكد بأن هذا الكتاب وما سيتبعه ليس ملكا لفرد أو فئة أو شلة أو جهة ما، كما أنه لن يكون مع جماعة ضد جماعة أخرى. انه كتاب مفتوح لجميع الأقلام الجادة دون أي استثناء، ملتزم بالانفتاح على جميع التيارات الفكرية التقدمية، من أجل اللقاء والتفاعل عبر المخاطبة والحوار المكشوف.

■ توجهنا أدبي وفكري وفني إلى جانب الإنسان البسيط الواعد بالخيرات. الواقع تحت الاستلابات اليومية البشعة، منحازون إلى صف الكلمة / الشرارة.

■ لن نقيس نجاح تجربتنا بمستوى ما سنوزعه من هذا الكتاب، ولا بمدى استقطابنا للأقلام المعروفة، بقدر ما سنقيسه بقدرتنا على إضافة ولو خطوة واحدة / علامة على طريق التجارب التي سبقتنا إلى موضع الحلم. الحلم بأن نكون أقوياء على قدر هاماتنا الممدودة طولاً.

■ لقد هيأنا أنفسنا لتلقي أية خسارة مادية أو إجراء تعسفي. حتى ولو أصدرنا جزءاً واحداً يتيما. هل بوسعنا أن نتفاءل؟؟

سارت كتابات على المنحى الذي رسمته لنفسها، وتم توزيعها في كل الوطن العربي تقريباً بنجاح وتعاطف من القراء العرب الذين يشترون المجلة في مصر والمغرب والجزائر والسودان واليمن بعشر قيمة كلفتها. بدأنا بطباعة 3000 نسخة ثم تمت زيادة الكمية الى 5000 نسخة. كان طموحنا بلا حدود إلى القدر الذي توجهنا فيه إلى إصدار ملفات وأعداد خاصة تتمحور حول موضوعات هامة تعالج من جميع جوانبها، كان من ضمنها أول عدد خاص يتناول تجربة شاعر البحرين الكبير الأستاذ إبراهيم العريض، ومن عجب الأشياء، أن يكون هذا العدد الخاص – فيما بعد – موضع احتفاء عشرات الجامعات العربية التي كانت تجد في دراسة إبراهيم العريض بعض وفاء منها للحركة الأدبية الناشطة في البحرين.

ظلت «كتابات» تواصل الصدور لعشر سنوات متتالية، تميزت خلالها بتطور لافت في الشكل، وفي الرؤية الإخراجية العامة، وفي مستوى الطباعة، وبالتواصل الحميم مع الساحة الثقافية العربية، التي رفدتنا بالعديد من الدراسات والأبحاث والأعمال الإبداعية، إلى أن تنبهت رقابة المطبوعات إلى الأمر فصدر قرار بلغنا به شفويا بإيقافها عن الصدور في أبريل 1985، هكذا كانت نهاية كتابات كما سردها الشاعر علي عبدالله خليفة.

وعبر سؤال كان يلامس النهايات المفتوحة كان تساؤل علي خليفة، هل فعلاً كان الرقيب في غفلة، و«كتابات» مجلة واضحة لكل ذي عين، لها رئيس تحرير ومدير تحرير معلنان على صفحاتها الأولى، وليست كتابا؟ ثم أن السماح لها بالصدور كان هو الحل المؤقت لحين منح أسرة الأدباء والكتاب الترخيص الرسمي بإصدار مجلتها الأصلية؟

لقد واجهها مواقف صعبة جدا، يتحدث علي خليفة فقد دخلنا الميدان برأسمال زهيد هو قيمة طباعة الجزء الأول فقط. وراهنا على الإعلانات القليلة الداعمة للعمل الثقافي، وعلى الاشتراكات الفردية التي كان استمرارها سنداً لا بأس به، وعلى الاشتراكات الرسمية الخليجية التي كانت تفاجئنا بانتكاسات من عام إلى عام. كما أن الموزعين العرب الذين كانوا يطالبوننا بزيادة كميات التوزيع المخصصة لكل بلد عربي لم يقصروا في المماطلة بدفع مستحقات الأعداد المباعة ومصادرة أغلبها، فوقعنا في أسر ديون مالية باهظة للبنك وللمطبعة مما حد من تطوير شكل المجلة، وشل قدرتنا على دفع مكافآت الكتاب، فكان كل كتابنا مناضرين ومتطوعين، أولهم الدكتور عبد الحميد الحادبي الذي قدم مساهمات منتظمة ولافتة. إلا أن المجلة حققت الغرض الذي أنشئت من أجله وعبرت عن مرحلتها بكل صدق وأمانة، فكان ذلك هو الممكن الصعب في الزمن الصعب.

ونحمد الله الآن في البحرين، فنحن وأسرة الأدباء والكتاب في ظل مشروع وطني إصلاحي واعد ننتظر منه الكثير.